



## منهج علماء الجزائر في فقه الحديث النبوي الشريف - الداودي و ابن مرزوق الحفيد أنموذجا-

محمد بوطيبة بن قلاوز

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و هران - الجزائر

Boutaibak\_mohamed@yahoo.com

### مقدمة

لقد ظهر في المغرب ازدهار علمي خلال القرن السابع و التاسع الهجريين، الثالث، و رغم تدهور الأوضاع السياسية كانت تلمسان من أعظم أمصار المغرب التي ضاهت أمصار الدول الإسلامية كما قال ابن خلدون، نبغ فيها كثير من الأعلام وفي مختلف العلوم و مما زاد في تعزيز الحياة الفكرية وازدهارها، و انتشار العلماء هو اهتمام الأمراء بإنشاء المساجد، و المدارس التي كانت خير دليل على الازدهار العلمي آنذاك مثل مسجد تلمسان الكبير، و جامع أغادير الأعظم بتلمسان و المسجد العظيم الذي شيده السلطان أبو الحسن بالعباد، بالإضافة إلى إنشاء عدة مدارس كبرى، كانت منارات علمية، تخرج منها الكثير من العلماء، وكانت لهذه المدارس و المساجد أوقاف عظيمة تصرف عن الفقهاء والمدرسين والطلبة، كما أنشأ الأمراء المشتغلون بالعلم الزوايا ودور العلم، نذكر منها زاوية أبو عبد الله بن محمد التميمي (ت756 هـ)، وزاوية بتلمسان كائنة بطريق العباد، و مما زاد في تعزيز الثقافة الإسلامية الأصيلة، علماء الأندلس النازحين حيث امتزجت الثقافة المغربية بالثقافة الأندلسية وأصبح المسجد الجامع بتلمسان، والجامع الأعظم بأجادير لا يقل أهمية عن جامع القرويين والزيتونة<sup>1</sup>، كل ذلك جعل من هذا العصر هو عصر الازدهار العلمي، فقد حفل بطائفة من مشاهير العلماء في الفقه والحديث واللغة، وكانت تلمسان آنذاك موطن العلماء وكعبة طلاب العلم، لم يؤثر فيها الاضطراب السياسي وانتشار الفتن.

و لقد اهتم علماء الجزائر بعلم الحديث وكتب السنة المطهرة وأولوها عناية خاصة حفظا ورواية وشرحا وتدریسا، فقد اهتموا بجميع كتب السنة وعلى رأسها صحيح البخاري الذي يعد أصح

<sup>1</sup> - تاريخ المغرب، بين سحر و نوم، 147/2.



كتاب بعد كتاب الله كما نصّ على ذلك الأئمة المتخصصون، ومن مظاهر عناية علماء الغرب الإسلامية بفقه الحديث أن وجد فيهم شرح قديم للجامع الصحيح: يعدّ من ثاني شروح الكتاب البخاري، وهو كتاب النصيحة في شرح البخاري للحافظ الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ).

و في عهد الموحدين كان الاهتمام بشرح الحديث خصوصا كتاب صحيح البخاري، فقد كانت للموحدين مجالس حديثة سماعا و دراسة، و استمر الاهتمام بالحديث في العهد الزياني، وتوسعوا في دراسته حيث كانت تعقد لعلم الحديث مجالس عديدة بعد صلاة الصبح يحضرها الشيوخ و الطلبة وعامة الناس، كما كان القراء يحتفلون بختمة قراءة كتب الصحاح احتفالا كبيرا لم يشهد له مثيل إجلالا وجمالا حسب تعبير ابن مرزوق الجد في كتابه المسند الحسن، فبرز في علم الحديث من أهل تلمسان شيوخ كثيرون ضربوا بسهم وافر، مثل الفقيه العالم أبي إسحاق التنسي (ت 680 هـ) (الذي كانت له فيه طرق عالية بفاس و مكة المكرمة).

و اعتنى ابن مرزوق الخطيب بعلم الحديث، فألف تعليقا على صحيح البخاري والأربعين في الصحاح أملاها بعد صلاة الجمعة وقبل صلاة العصر، وشرح كتاب عمدة الأحكام في خمسة مجلدات سماه: تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام في الحديث واقتفى أثره حفيده " ابن مرزوق الحفيد "الذي يمثل نموذجا هذه الورقة البحثية.

و في العهد المريني كذلك كان الاهتمام بالحديث وعلومه اهتماما واسعا إضافة إلى اهتمامهم، و استمر الاهتمام بالحديث في عهد أبي عنان بانتظام وقد ازدهرت العلوم والفنون في عهده و بلغ العلماء والمحدثون أوج الرقي بتعيينهم في المناصب الرفيعة للدولة كما سعى في نشر الحديث والتشجيع على حفظه وقراءته ببناء المدارس والمعاهد العليا الذي وصفه ابن مرزوق بحافظ المغرب، و الحافظ المسند أبو عبد الله محمد بن عمر الشهير بابن رشيد الفهري السبتي و الذي كان كثير السماع، عالي الإسناد، صحيح النقل، تام العناية بصناعة الحديث وكان له مجلس دائم للبخاري<sup>2</sup>.

ومن علماء الجزائر الذين اهتموا بشرح الحديث :

1/ الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحم زى المتوفى سنة 569 هـ (، فقد ألف كتاب سماه مطلع الأنوار على صحاح الآثار، خصه بالموطأ، و صحيح البخاري و مسلم،

<sup>2</sup> -مدرسة البخاري 362/1، فهرس الفهارس: الكتاني: 332-333.



صنّفه على مثال مشارق الأنوار للقاضي عياض، جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى<sup>3</sup>.

2/ والإمام المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي البجائي (ت 581 هـ)، فقد ألّف -رحمه الله- مؤلفات جليلة من بينها: الجمع بين الصحيحين<sup>4</sup>، جمعه من البخاري ومسلم في مجلدين .

3/ الشيخ المحدث عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف الجزائري المتوفى عام 682 هـ الذي ألّف كتاب تحريج الأحاديث الضعاف في سنن الدارقطني والإمام المحدث ابن قنفذ القسنطيني المتوفى 809 هـ و قد ألّف شرف الطالب في أسن المطالب وهو شرح لقصيدة ابن فرح الإشبيلي في ألقاب الحديث، والإمام شرف الدين يحيى الزرمانى العجيسى من القرن التاسع الذي درس بالمدرسة الشبخونية بمصر واجتمع به السخاوي مرارا، وقد ترجم له في الضوء اللامع، والشيخ محمد بن مخلوف الراشدي المعروف بأبركان المتوفى عام 868 هـ ، الذي ألّف: الزند الواري في ضبط رجال البخاري، وفتح المبهم في ضبط رجال مسلم، والشيخ أحمد بن محمد الشمني القسنطيني المتوفى سنة 872 هـ، الذي نظم نخبة الفكر لابن حجر، والشيخ العلمي التلمساني أبو زكريا يحيى بن أحمد بن رحمون ، المتوفى عام 888 هـ فقد والزوايا فنبتت في عهده طائفة من كبار المحدثين والحفاظ منهم : أبو محمد عبد الله الورغيالي وقد بلغ مرتبة الاجتهاد، وكانت الرحلة إليه، وأبو القاسم عبد العزيز بن أبي عمران موسى العبدوسي، اختصر البخاري ، والشيخ محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري الرصاع أبو عبد الله المولود بتلمسان والمستقر بتونس ، وله: التقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح وغيرها من الكتب وقد توفي عام 894 هـ، والشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي شرح جزء من صحيح البخاري، واهتم بصحيح البخاري أيضا الإمام أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري الرصاع، من أهل تلمسان، فقد ألّف كتاب التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح، وهو انتقاء بديع من شرح صحيح البخاري لابن حجر، توجد نسخة منه كاملة بمكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني، منها جزء عليه خط الرصاع رحمه

<sup>3</sup> - ، توجد نسخة منه بجامعة القرويين بفاس تحت رقم 594 ، 624،1641.

<sup>4</sup> - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجاية، أبو العباس الغبريني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 41-42.



الله ، ويوجد بالمكتبة العبدلية بتونس الجزء الأول والجزء الثالث ويدل كل هذا دلالة واضحة على مدى اهتمام المغاربة بالبخاري و صحيحه<sup>5</sup>.

و إنّ ما قاله صاحب المقدمة:"و أما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، و أكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري، من غير الصحيح، مما لم يكن على شرطه، وأكثر ما وقع له في التراجم، وأملى الإمام المازري -من فقهاء المالكية -عليه شرحا وسماه: المعلم بفوائد مسلم..... ثم جاء القاضي عياض من بعده وتممه وسماه: إكمال المعلم، و تلاهما محي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما فجاء شرحا وافيا"<sup>6</sup>.

إنما يقصد به كثرة عناية المغاربة بصحيح مسلم وتفضيلهم إياه على البخاري ليس عامة ولكن من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه<sup>7</sup>، و قد بين ابن مرزوق الحفيد في مقدمة المتجر الرياح أنّ بعض المغاربة قدّموا صحيح مسلم على البخاري وليس كلهم، وهذا في غير الصحيح، وذلك لسهولة مسلم، وجمعه الطرق، واستمر الاهتمام بالسنة النبوية من قبل العلماء الجزائريين وتركوا في ذلك مؤلفات في مختلف علوم الحديث وكتب الحديث من هؤلاء الأعلام نذكر: والشيخ المحدث أبو العباس أحمد بن قاسم بن ساسي البوني المتوفى عام 1129 هـ وله من المؤلفات: فتح الباري بشرح غريب البخاري، وكتاب التحقيق في أصل التعليق، ونظم نخبة الفكر لابن حجر في مصطلح الحديث، والشيخ الونيسي أبو الحسن، من كبار فقهاء المالكية له شرح البخاري في اثني عشر جزءا. والشيخ أبو محمد الداودي التلمساني المتوفى عام 1271 هـ ، الذي ولي قضاء تلمسان، وقد شرح هو أيضا صحيح البخاري لم يكمله و الشيخ العلامة طاهر بن صالح الجزائري المتوفى عام 1338 هـ الموافق ل 1920 م ، و الكتاب جمع فيه خلاصة ما قاله العلماء السابقون في هذا العلم. والكتاب مطبوع في مجلدين. واستمر الاهتمام بعلوم الحديث ومن بين هؤلاء الأعلام الأستاذ الدكتور محمد بن العربي بن أبي شنب) المتوفى في شعبان 1347 هـ / 1929 م.

<sup>5</sup> - ينظر: فهرست الرصاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق وتعليق: محمد العناني، ص: ق، المكتبة =العتيقة، تونس.

<sup>6</sup> - مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون ، ط1/1421-2000، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 525.

<sup>7</sup> - إن اهتمام المغاربة وتفضيلهم لصحيح مسلم، إنما كان فيما يرجع إلى حسن السياق وجوده الوضع) والترتيب، ولم يقطع أحد منهم بأن ذلك راجع إلى الأصحية، بل تفضيلهم من حيث الأصحية لكتاب البخاري الذي شرطه أصح من مسلم، ينظر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر: ابن حجر 22 :، تعليق محمد كمال الأدهمي، مكتبة التراث، دت.



## المبحث الأول : ترجمة نصر الداودي و بيان منهجه الفقهي:

### المطلب الأول : ترجمة أبو نصر الداودي

لم يتطرق لترجمة الإمام أبي جعفر الداودي إلا فئة قليلة من علماء التراجم والوفيات، فقد ترجم له القاضي عياض (ت544هـ)، ثم تلاه برهان الدين ابن فرحون (ت799هـ)، فصاحب شجرة النور الزكية، فصاحب معجم المؤلفين، على أن بعض هؤلاء ينقل عن بعض، والمصدر واحد و هو القاضي عياض في ترتيب المدارك.

و أمّا إمامنا فهو : الإمام أبو جعفر أحمد بن نصر<sup>8</sup> الداودي الأسدي من أئمة المالكية بالمغرب، لم يذكر من ترجمه - ممن تقدم أنفا - سنة مولده، إلا أن القاضي عياض بن موسى قال: "إن أصله من "المسيلة"، وقيل من "بسكرة" كان بطرابلس، وبها أملى كتابه في "شرح الموطأ" ثم انتقل إلى تلمسان"<sup>9</sup>.

ولم يعرف عن الداودي أنه حمل عن أحد من المشايخ، قال ابن فرحون: "وكان درسه وحده، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل بإدراكه"<sup>10</sup>، وعد القاضي عياض ذلك عيباً وغمزا فقال: "بلغني أنه كان ينكر على معاصره من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاءهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك فأجابوه: "اسكت لا شيخ لك"... يشيرون أنه لو كان له من يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقائهم، مع من هناك من عامة المسلمين، تثبت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنه لو خرج العلماء من إفريقية لما بقي فيها من العامة آلاف آلاف، فرجحوا خير الشرين"<sup>11</sup>.

<sup>8</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، نشر وزارة الأوقاف المغربية، دط، دت، 7/ 102.

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، 7/ 102.

<sup>10</sup> - الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور - دار التراث الفاهرة، دط، دت، 1/ 166.

<sup>11</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 1/ 102.



ومع ذلك فقد وصفه غير واحد بالتقدم والرياسة في العلم، فقال فيه ابن فرحون: "وكان فقيها فاضلا متقنا، مؤلفا مجيدا، له حظ من اللسان والحديث والنظر"<sup>12</sup>، و حلاه الشيخ محمد بن محمد مخلوف بقوله: "الإمام الفاضل العالم المتفنن الفقيه"<sup>13</sup>.

وأشهر من حمل عن الإمام : أبو عبد الملك البوني، وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد، وأبو علي بن الوفاء رحمة الله عليهم أجمعين<sup>14</sup>.

لبث الإمام أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي بطرابلس زمنا ألف فيه "شرحه للموطأ" ثم انتقل إلى تلمسان، وبها توفي سنة 402 هـ، وقبره عند باب العقبة، قال القاضي عياض: "وقرأت في بعض التواريخ أن وفاته سنة إحدى عشر، والأول أصح"<sup>15</sup>.

وقد ألف الإمام الداودي كتبا متنوعة في الحديث والفقه و الأصول والعقيدة، تشهد له بسعة الاطلاع، والشهرة في العلم، ومن بينها<sup>16</sup> :

1/ كتاب النامي في شرح الموطأ

2/ الواعي في الفقه

3/ النصيحة في شرح البخاري : وهو من الشروح الأولى للجامع الصحيح وسيرد الكلام على منهجه الفقهي فيه مفصلا.

4/ الإيضاح في الرد على القدرية.

5/ كتاب الأصول.

6/ كتاب البيان.

7/ كتاب الأموال : وقد طبع بتقديم وتحقيق الأستاذ سالم شحادة، ونشر بعناية دار الثقافة مركز إحياء التراث المغربي بالرباط.

<sup>12</sup> - الديباج المذهب، 1 / 166.

<sup>13</sup> - شجرة النور الزكية، مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، 1 / 111.

<sup>14</sup> - ترتيب المدارك، 103/7، والديباج المذهب، 1 / 166.

<sup>15</sup> - ترتيب المدارك، 103/7، والديباج المذهب 1 / 106، وفي : شجرة النور الزكية أن الداودي توفي سنة 440 هـ، وهو مخالف للمسطور في المصادر المعتمدة.

<sup>16</sup> - ينظر: ترتيب المدارك، 7 / 102، الديباج المذهب، 1 / 166، شجرة النور 1 / 111، وانظر أيضا تقديم سالم شحادة كتاب الأموال، ومعجم المؤلفين 2 / 194-195.



### المطلب الثاني: التعريف بشرح الداودي :

ذكرت أكثر المصادر التي ترجمت للإمام الداودي شرحه البخاري وسمته : النصيحة في شرح البخاري، ومن بين هذه المصادر القاضي عياض<sup>17</sup> ، و ابن فرحون<sup>18</sup> ، والقنوجي<sup>19</sup> ، و الشيخ محمد بن محمد مخلوف<sup>20</sup> ، ومحمد رضا كحالة<sup>21</sup> ، وأشار إليه من غير تصريح بالاسم القسطلاني<sup>22</sup> ، والمباركفوري<sup>23</sup> ، وحاجي خليفة<sup>24</sup> .

و لم ينص أحد - ممن اهتم في هذا العصر بتتبع مخطوطات وذكر أماكن وجودها - على مكان وجود شرح الإمام الداودي، حتى قال يوسف الكتاني: " أما عن شرح النصيحة فلا يعرف أثره إلى اليوم، وقد كان الظنون أنه من ذخائر خزانة القرويين، وقد بحثت عنه طويلاً، وبمساعدة قيمها المرحوم العابد الفاسي، ومساعدون الذين أكدوا عدم العثور عليه، كما أنه لا يوجد مسجلاً ضمن الكتب المفهرسة بها، ولا ذكر له في مختلف القوائم والفهارس المتعلقة بخزانة القرويين منذ فهرس بل سنة 1917 إلى اليوم، ولكنني أميل إلى وجوده إما بين الكتب التي لم تفهرس بعد، و التي أخذت الروضة تأكل بعضها، وإما بين مئات الكتب التي استعيرت من خزانة القرويين، وبقيت ضائعة عن المستعيرين إلى الآن، ومازلت أمل العثور على هذا الشرح النفيس<sup>25</sup> .

<sup>17</sup> - ترتيب المدارك، 7 / 103.

<sup>18</sup> - الديباج المذهب، 1 / 166.

<sup>19</sup> - في الحطة في ذكر الصحاح الستة، تح : علي حسن الحلبي دار الجبل، بيروت ودار عمار - عمان، ص:322.

<sup>20</sup> - "شجرة النور الزكية، 1 / 111 .

<sup>21</sup> - معجم المؤلفين، 2 / 195.

<sup>22</sup> - إرشاد الساري، 1 / 43.

<sup>23</sup> - مقدمة تحفة الأحوذى، 1 / 255.

<sup>24</sup> - كشف الظنون، 1 / 545.

<sup>25</sup> - مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب - بيروت، دت، 2 / 569-570.



كتب يوسف الكتاني هذا الكلام منذ سنوات خلت، والمأمول في القائمين على خزانة القرويين، وعلى رأسهم محافظها أن يبالغوا في التنقيب عن هذا السفر النفيس، والكتاب الجليل، ضمن الكتب التي لم تفهرس بعد<sup>26</sup>.

و لقد حملني شوقي لشرح الإمام الداودي إلى جمع مادته المتناثرة في الشروح المتأخرة عنه، كشرح الكرمانى (ت 786هـ)، و شرح الحافظ العيني (ت 855هـ)، و شرح القسطلاني (ت 923هـ)، فتجمعت عندي مادة علمية كثيرة كتبت حولها هذه الدراسة.

### المطلب الثالث : منهج الفقه الحديث عند الإمام الداودي.

لقد ركز الإمام الداودي على الاستنباط وبيان فقه الحديث في شرحه على الصحيح و ذلك يظهر فيما يلي :

1/ استخراج الأحكام، وبيان فوائد الحديث: و الأمثلة على ذلك كثيرة جدا، نسوق منها مثلا واحدا في كتاب الغسل : عند قول عائشة رضي الله عنها : "كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم في إناء واحد..."<sup>27</sup>، نقل الحافظ ابن حجر عن الداودي أنه استدل بهذا الحديث على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه<sup>28</sup>.

2/ مناقشة الآراء، وبيان الراجح مع ذكر الدليل :

في كتاب الأذان " في "باب الكلام في الأذان" ذكر البخاري في الترجمة كلام سليمان ابن سرد في أذانه، ثم ساق حديث ابن عباس، وكلامه مع المؤذن وأمره له بأن ينادي : "الصلاة في الرحال"، فعلق الداودي على ذلك بقوله: "لا حجة على جواز الكلام في الأذان، بل القول المذكور مشروع من جملة الأذان في ذلك المحل"<sup>29</sup>.

3/ توجيه معاني الأحاديث:

<sup>26</sup> - ولا مانع من أن يكون شرح الإمام الداودي، في إحدى مكتبات العالم، التي جمعت لها النوادر و الأعلام النفيسة من كل حدب وصوب، والمأمول من مراكز خدمة التراث، وتحقيق المخطوطات، أن تطرق هذه الأبواب، فعسى أن يظهر الشرح المفقود.

<sup>27</sup> - أخرجه البخاري في الغسل، باب: غسل الرجل مع امرأته، رقم 250.

<sup>28</sup> - فتح الباري، 1 / 290.

<sup>29</sup> - فتح الباري 2 / 77، وإرشاد الساري، 2 / 10.





مثاله عند شرح حديث: "إذا أتى أحدكم الغائط، فلا يستقبل القبلة، ولا يولها ظهره، شرقوا أو غربوا"<sup>30</sup>، و قال الداودي: "اختلف في قوله: شرقوا أو غربوا"، فقيل إنما ذلك في المدينة، وما أشبهها كأهل الشام واليمن، وأما من كانت قبلته من جهة المشرق أو المغرب، فإنه يتيامن أو يتشائم"<sup>31</sup>.

3/حكاية مذهب الإمام مالك وتقريه و الدفاع عنه :

و هذا ليس بالأمر الغريب، فقد كان الداودي من كبار المالكية، الذين تصدوا لشرح موطأ الإمام المال ولبيان أثر فقه مالك في شرح الداودي نسوق المثال التالي: في شرح حديث أبي بردة رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله"<sup>32</sup>، و ذكر الحافظ ابن حجر اختلاف العلماء في جواز الزيادة على العشر، ثم قال: "وقال مالك والشافعي وصاحبها أبي حنيفة: تجوز الزيادة على العشر..." واعتذر الداودي فقال: لم يبلغ مالكا هذا الحديث، فكان يرى العقوبة بقدر الذنب"<sup>33</sup>.

و بالجملة، فإن شرح الداودي "الصحيح البخاري" لتحقيق أن يعنى به أهل العلم، بحثا عن أصله، وتنقيها عن نسخه، وإخراجا لمتنه، وتنويها بصاحبه، وجاءت هذه الدراسة لتلفت أنظار الباحثين إلى هذا العلق النفيس، والكنز الثمين، الذي اغترف منه الأعلام الكبار شرقا وغربا، وصاحبها لم يدع أنها وافية بالمقاصد التي أمل الوصول إليها، كيف؟ وهذا الأمر لا يؤمن فيه العتار، ولا يجتنب فيه الشطط والخطأ والنسيان، لأن الأصل مفقود، والشرح غير موجود، حتى إذا ظهر ذات يوم، فتح باب الإصلاح والتقويم والاستدراك.

<sup>30</sup> - أخرجه البخاري في الوضوء باب: لا تستقبل القبلة بغائط أو بول، رقم: 144.

<sup>31</sup> - العمدة 2 / 277.

<sup>32</sup> - أخرجه البخاري في الحدود باب: كم التعزير والأدب، رقم: 6848.

<sup>33</sup> - الفتح، 12/150، ويطول المقام لو حكينا احتفال الداودي بالإمام مالك وأقواله، وتقرها، وحسبنا - هنا - أن نخيل القارئ على الفتح، 7 / 190 والعمدة، 1 / 124، والكواكب الدراري، 9 / 143.



## المبحث الثاني : ترجمة ابن مرزوق الحفيد و بيان منهجه الفقهي :

### المطلب الأول : ترجمة ابن مرزوق الحفيد

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني أبو عبد الله واشتهر بالحفيد، تميّز له عن غيره من علماء المازقة، ويقصد بالحفيد حفيد ابن مرزوق الجد المشهور بالخطيب شمس الدين المتوفى سنة 781 هـ. ولد ليلة الاثنين رابع عشر من ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة للهجرة 766 هـ (الموافق للعاشر من ديسمبر عام 1364 م بتلمسان)، واهتم ابن مرزوق الحفيد بالرحلة في طلب العلم، وذلك بعد أن أخذ العلم عن علماء بلده حيث رحل من تلمسان إلى قسنطينة أين استكمل تعليمه، ومنها رحل إلى مختلف البلاد شرقا وغربا حتى وصف بالرحالة ذكر القلصادي في رحلته أن ابن مرزوق الحفيد رحل رحلتين إلى الحج، الأولى كانت سنة ثنتين وتسعين وسبعمائة، التقى فيها بالإمام ابن عرفة بتونس وحضر مجالسه، ثم حج رفقة ابن عرفة فلقى جمعا من العلماء من بينهم ابن صديق الذي روى عنه صحيح البخاري، وابن الملقن و الهيثمي، و النور النويري و الدماميني وغيرهم.

والرحلة الثانية كانت عام 819 هـ التقى بعلماء أخذ عنهم وأخذوا عنه، قال الإمام الثعالبي .. "و قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام أو أخذت عنه كثيرا وسمعت جميع الموطأ بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني، وختمت عليه أربعينيات النووي، قرأ عليه في منزله قراءة تفهم، وكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم أخذ بالبكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب رحمه الله" <sup>34</sup>.

وقال ابن حجر ضمن ترجمته لجدته شمس الدين المتوفى سنة 781 هـ: "و قدم علينا حفيده محمد بن أحمد بن أبي عبد الله بن مرزوق القاهرة وحج بعد العشرين وكان قد وقع لي شرح الشفاء بخط جده فاتحفته به وسرّ به سرورا كثيرا، ونعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون، وحسن الخط والخلق والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام ورجع إلى بلاده بعد أن حدث وشغل وظهرت فضائله حفظه الله تعالى" <sup>35</sup> و قال أيضا: "...سمع مني و سمعت منه..." <sup>36</sup>.

<sup>34</sup> - نيل الابتهاج التنبكتي 308 ، البستان 206 ، النفع 425/5.

<sup>35</sup> - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 360/2-362.

<sup>36</sup> - المجمع المؤسس، 514.



أخذ كذلك عن ابن مرزوق الجد، وسعيد العقباني المتوفى سنة 811 هـ<sup>37</sup> و إبراهيم المصمودي، و الشريف التلمساني المتوفى سنة 792 ( هـ 3 ) و عبد الرحمن ابن خلدون، وابن عرفة الورغمي التونسي<sup>4</sup> ، و الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط ، المتوفى سنة 817 هـ 5 ، و الحافظ العراقي.

و لقد عاصر ابن مرزوق الحفيد مجموعة من العلماء منهم: أبو عبد الله الشريف التلمساني المتوفى سنة 847 هـ، وقاسم العقباني، والحافظ ابن حجر العسقلاني و أبو يحيى بن عقبة القفصي<sup>38</sup> ، والقلشاني<sup>39</sup> أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الباجيمي ناحية تونس لا باجة الأندلس التونسي، عرف بالقلشاني، الفقيه الصالح ، من أكابر علماء الأندلس.

و قد تتلمذ على يد ابن مرزوق الحفيد الكثير من الفضلاء نذكر منهم : ابنه الذي يعرف بالكفيف (901هـ)، و مخلوف الثعالبي من كبار علماء الجزائر و المجاري الأندلسي المتوفى سنة 862 هـ و القلصادي أبو الحسن من أهل الأندلس، توفي سنة 891 هـ بباجية<sup>40</sup> .

و بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والترحال مات ابن مرزوق في عشية الخميس رابع عشر من شعبان سنة اثنين وأربعين وثمانمائة، عن عمر يناهز الست والسبعين سنة الموافق ل 1439 م بتلمسان، وهذا بإجماع العلماء الذين ترجموا له. وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ودفن بالروضة هناك بغربي المسجد، قال القلصادي: وكانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان فمن دونه ، لم أر مثلها فيما قبل لقد خلف الحفيد ثروة علمية لا يستهان بها تتمثل فيما كونه من العلماء الفطاحل الذين أخذوا عنه من الشرق والغرب والأندلس ، كما مرّ معنا في تلاميذه، و تتمثل كذلك في الكتب التي صنفها في مختلف الفنون، العقيدة والفقه والحديث والتفسير واللغة والحساب والميقات، والسيرة والمنطق ، ونقتصر على ذكر بعض كتبه مع التركيز أهمها:

1/ نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف<sup>41</sup> ، وأنوار الدراري في مكررات البخاري ، و المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح،

<sup>37</sup>- نيل الابتهاج: 125 ، كفاية المحتاج 138 ، البستان لابن مريم، 107

<sup>38</sup>- ترجمته نيل الابتهاج، 206.

<sup>39</sup>- الحلال السنديسية، 2/ 606.

<sup>40</sup>- نفع الطيب، 693/2، نيل الابتهاج ، 308.



الذي شرحه في سلسلة من الدروس في المسجد، ثم ظهر له أن يقيد ذلك في كتاب، وسماه المتجر الريح - لم يكمل -، الروضة وهي عبارة عن رجز في علوم الحديث، واختصره في الحديقة، توجد نسخة منه في مركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم تسلسلي: 49362، مصورة من نسخة الأسكوريال 2/1517.

و أما الفقه فقد ألف فيه كتابا سماه : المنزع النبيل في شرح مختصر خليل ، ويعد من أشهر كتبه و هو في غاية الإتقان ، والتحرير<sup>42</sup> ، وإسماص الصم في إثبات الشرف من قبل الأم، وهو عبارة عن فتوى لابن مرزوق نقلها الونشريسي في المعيار<sup>43</sup> ، واغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة، وروضة الأريب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب لم يكمله<sup>44</sup> ، تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في يد الروم، والروض البهيج في مسائل الخليج<sup>45</sup> ، نقله الونشريسي في المعيار<sup>46</sup> .

### المطلب الثاني : التعريف بكتاب المتجر الريح:

إنَّ شرح ابن مرزوق الحفيد على صحيح البخاري المتجر الريح يعدّ واحدا من الشروح التي تفتخر بها مكتبة الحديث النبوي الشريف عامة، ومكتبة الجزائر خاصة. ففيه من العلم واللغة والفقه والحديث والتراجم والمنطق و عمق المنهج ما يشفي صدور ذوي العقول فضلا عما فيه من أدب المناظرة والجدل المنطقي والمناقشة المبنية على الدليل، وتضمنه لتحقيقات قي مة وفوائد جمّة لم يذكرها غيره من الش رآح. وهذا الشرح لم يكمل كما ذكر ابن مرزوق في المقدمة حيث قال : "... فشرحت من الكتب من باب الرجل يوضئ صاحبه من كتاب الضوء إلى أثناء كتاب الصلاة... و أبواب الأوقات وشرحت بدء الوحي والنصف من كتاب الإيمان..... فإن وقع ما يستغرب ويستبعد من إتمامه مع هذا الحسن وأحوال تناسبه فكذلك الله يفعل ما يشاء وإلا كان ما قدر منها نموذجا ينسج على منواله من رضي صنعته وشاء، وربما أغنى عن الشروح الكاملة لما فيه من تفرّيعات وتأصيلات واستنباطات " <sup>47</sup>..... ثم بيّن جهده في الاستنباط واستخراج

<sup>41</sup> - هدية العارفين ، 191/6 .

<sup>42</sup> - نيل الابتهاج، 311 ، كفاية المحتاج، 397 .

<sup>43</sup> - المعيار، 193/12-206 .

<sup>44</sup> - وفي كفاية المحتاج، 397 .

<sup>45</sup> - كفاية المحتاج ، 397، الضوء اللامع، 52/7 .

<sup>46</sup> - المعيار ، 334/5-336 .

<sup>47</sup> - مقدمة المتجر الريح : الجزء 1/ ورقة 2 .



الفوائد فقال: "... عدم السماح بترك فائدة، و استفراغ الجهد في استنباط الحسن مما يمكن، ومن ثم كان رجاء إكمال هذا الشرح مع هذه الأوصاف، و كبر جرم الكتاب من المستحيل عادة، لاسيما مع ما انضم إليها من التقصير ..."<sup>48</sup>

فابن مرزوق اقتصر على شرح الأبواب المذكورة آنفا، لكن الشيء الذي ينبغي معرفته، ويشير إليه ما جاء في مقدمة المتجر الربيع هو أن ابن مرزوق شرح صحيح البخاري كاملا و رواه و رواه لطلابه كاملا في الدروس التي كان ينظمها لهم دون أن يسجله في كتاب، أو يقيده أحد تلاميذه.

وقد ابتدأ ابن مرزوق الحفيد- رحمه الله - شرحه بمقدمة ب ين فيها المنهج المتبع في هذا الشرح، و السبب الدافع والباعث إلى وضع هذا الشرح، و ذلك بعد أن بين و أبرز قيمة الجامع الصحيح وقيمة صاحبه محمد بن إسماعيل البخاري- عليه رحمة الله.-

و في هذا الشرح حاول - كما صرح في مقدمة شرحه - استدراك ما فات غيره من الشرح، و يظهر هذا جليا في قوله... "و من أهم ما لم يذكره: جمع مقاصد أبواب من كل كتاب من كتبه الكبيرة، ككتاب الصلاة ونحوه أو من أكثرها في معنى كأنه فصل من الكتاب، ثم ينتقل إلى أبواب آخر تشترك في معنى آخر من ذلك الكتاب كأنه فصل آخر منه، وتبيين المناسبة بين تلك الأبواب والفصول ووجه الترتيب في تقديم بعضها على بعض وغير ذلك من المحاسن التي نراها بعون الله ذي الجلال والإكرام..."<sup>49</sup>.

و في قوله: "... وفي تراجم البخاري من الدقائق والأسرار ما عجز كل من أتى بعده عن استيفاء مقاصده في ذلك وسنينه في كل ترجمة على ما فتح الله به علينا ومن به من فضله بقدر ما رزقنا من الطاقة مما لم يسبق إليه غيرنا وبالله نستعين"<sup>50</sup>.  
و توجد نسخ هذا الشرح في الأماكن التالية:

<sup>48</sup> - المصدر نفسه، الورقة 2 من المخطوط نسخة مصورة عن نسخة الجامع الكبير بالجزائر قبل ضياعها.

<sup>49</sup> - مقدمة المتجر الربيع.

<sup>50</sup> - مقدمة المتجر، 10/1.



أ/النسخ الجزائرية: نسخة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر تحت رقم : 113 المحفوظ من هذه، و النسخة الجزء الثاني فقط بينما ضاع الجزء الأول ولم أعثر منه إلا على مقدمة، و أما الجزء الأول الضائع: شرح فيه بدء الوحي وبعض أبواب الإيمان، والجزء الثاني أوله باب علامة الإيمان حب الأنصار إلى أداء الخمس من الإيمان.

ب/ النسخة الحجازية : نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، قسم /12/02/المخطوطات:رقم التسلسل : 5976 مكان الحفظ :ج/04 / رقم الحفظ والتسلسل : 00310، الميكروفيلم : 310، الفن : حديث.

الجزء الثاني بدايته : هذا الجزء الثاني من شرح العلامة ابن مرزوق على صحيح البخاري... و هو قوله باب علامة الإيمان حب الأنصار... و ينتهي باب أداء الخمس من الإيمان. نوع الخط : مغربي. القرن 11 : هـ 17 -م، كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب بالمداد الأحمر إضافة إلى خطوط التنبيه. والنسخة قوبلت بالأصل وبنسخة أخرى للتصحيح، التملك والحتم يظهر اسم عبد الله الغزالي في ال ورقة الأولى. عليها بعضة التصحيحات والمقابلات.

### المطلب الثالث : منهج ابن مرزوق في كتابه ما تميز به

لقد اتبع ابن مرزوق منهجا فقهيا فريدا من نوعه ، يذكر الكتاب ويذكر صاحب القول، ويضع كلمة" انتهى "بعد القول المنقول ابتداء شرحه بمقدمة ب ين فيها المنهج الذي اتبعه في شرحه وبين السبب الدافع والباعث إلى وضعه هذا الشرح، وذلك بعد أن بين وأبرز قيمة الجامع الصحيح وقيمة صاحبه محمد بن إسماعيل البخاري- عليه رحمة الله -حيث قال " :وكنت في زمن الشبيبة والكهولة قد منّ الله عليّ بالاشتغال بصحيح البخاري فرويته ورؤيته مدة ودرسته فيه مفهما ومستنبطا ما تضمن من فوائده حتى ختمته في سنين عدة وكان يمر بي في مجالس الرواية والإقراء المستحسنة بزعمي من الف وائد ما لم أراه لغيري، وأظنه من جميل الفوائد ولم أوفق حينئذ لتقييد تلك الزوائد الشوارد ليتجمل بها من أراد نظمها في سلك نفائس الدرر والقلائد فطلبتها بعد الشيخ فوجدتها قد توحشت ولحقت بالأوائل... و منذ ذلك الحين تاقت النفس إلى تقييد ما كنت أتمنى... فشرحت من الكتب من باب الرجل يوضئ صاحبه من كتاب الوضوء إلى أثناء كتاب الصلاة... أبواب الأوقات وشرحت بدء الوحي والنصف من كتاب الإيمان وكان بفضل الله من أنفس الصلات"<sup>51</sup>

<sup>51</sup>-المتبحر، 1/1.



وباختصار يمكن إيجاز منهج الفقهي لابن مرزوق في شرحه فيما يلي:

1/ بيان المناسبة بين الترجمة و الحديث:

و بعد أن ذكر كل ما يتعلق بالجامع الصحيح وشرحه لمعانيه وبيان مناسبة الأبواب قال وما أحسن افتتاحه واختتامه أحسن الله إليه، فإن معنى نية العمل إخلاصه لله، ولا يفعل ذلك إلا من يعتقد أن لا فاعل من نفع أو ضرر إلا الله وهذا هو كمال التوحيد وغاية ما يدركه أكثر المكلفين من الثناء على الله تعالى بما هو أهله وهذا معنى الحمد فلم يخل كتابه من الاستفتاح بالحمد على ما ظن حتى اعتذر بالاكْتفاء بالبسملة أو بمطلق ذكر الله وحتم بكلمات الحمد صريحاً و ضمناً... فله دره بدأ بالإخلاص وختم به<sup>52</sup>.

ثم شرع في شرح بدء الوحي مُطَبِّقاً منهجه الذي ذكره في المقدمة، فكان يفكك النص إلى قطع فيشرح ألفاظ الحديث معتمداً على مصادر اللغة مثل المحكم والصحاح للجوهري وغيره، ثم يتعرض لمعاني الحروف كما ذكر ذلك في المقدمة حيث قال: وإذا أحطت علماً ذا التحقيق والتنقيح فلنرجع إلى تنزيله على الحديث فنقول...<sup>53</sup>.

2/ شرح بعض الأبواب، مما جعل الكثير يتساءل عن السبب، وقد أجاب عن ذلك في المقدمة.

3/ ذكر اسم الباب وترجمته ثم ذكر العلاقة بينه وبين الباب الذي قبله مع بيان مقصد الحديث كما في باب علامة الإيمان حب الأنصار.

4/ تفكيك عبارة النص وبيان منطوقها ومفهومها.

5/ الإحالة إلى موضع الشرح، وبسط القول وذلك في الحديث المكرر.

6/ ذكر فوائد الحديث، والأحكام المستنبطة منه.

7/ اعتماده الكبير على الإمام مالك وأصحابه مما يبرز مذهبه المالكي، وإن كان لا يستغني عن ذكر أقوال العلماء الآخرين، أبو حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم -عليهم  
رحمة الله.

<sup>52</sup> - المتبحر، 19/2.

<sup>53</sup> - المتبحر، 29/1.



8/ اعتماده على المناقشة في كثير من المسائل فهو يكثر في شرحه المناقشة والمناظرة، حيث أكثر من الافتراض والاعتراض على أدلة الرأي الآخر حيث نجده يكثر من ذكر عبارتي: "فإن قلت...قلت...".

9/ تأثره بعلم المنطق، الذي هو العلم بالقوانين التي يعرف الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة بالماهيات و الحجج المفيدة للتصديقات.

10/ اعتماد ابن مرزوق طريق النظر والبحث والمقارنة والترجيح، ومثال ذلك ما ذكره في باب من قال: "إنّ الإيمان هو العمل، قال - بعد أن شرح واستشهد بأقوال الأئمة وناقشها: - وعلى هذا المحمل لا حجة للبخاري في الحديث و لو أريد حقيقة الإيمان التصديقي لما اقتصر على رسوله وملائكته إلى آخر أركانه... ثم قال: و هذان التأويلان اللذان اخترناهما وجهان طريقان قويان في الجمع بين مختلف أحاديث هذا النوع، جاريان على أصول علم المعاني فشدّ عليهما يد الضنين واستغن ما عن غيرهما مما ذكر في جمعها، لما فيه من التعسف والتكلف والمنّة، والفضل لله سبحانه و به التوفيق" <sup>54</sup>.





### قائمة المصادر و المراجع

- إرشاد الساري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.
- تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1998م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، نشر وزارة الأوقاف المغربية، دط، دت.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1422، 1هـ.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة، محمد صديق خان، تح: علي حسن الحلبي دار الجبل، بيروت ودار عمار - عمان.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد- الهند، ط1972، 2م.
- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور - دار التراث القاهرة، دط، دت.
- شجرة النور الزكية، مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
- شذرات الذهب، العكري، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1986، 1م.
- ضياعها.
- طبقات الحفاظ، السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1403هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة - بيروت، دط، 1379هـ.
- فهرست الرصاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق وتعليق محمد العنابي، ص: ق، المكتبة العتيقة، تونس.



- المتبحر، ابن مرزوق الحفيد، مخطوط نسخة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر تحت رقم : 113 المحفوظ من هذه، و النسخة الجزء.
- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب - بيروت، دت، 2/ 569-570.
- معجم المؤلفين، عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، دط، دت.
- مقدمة المتجر الربيع: من المخطوط نسخة مصورة عن نسخة الجامع الكبير بالجزائر قبل
- مقدمة تحفة الأحوذى، المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر: ابن حجر 22 :، تعليق محمد كمال الأدهمي، مكتبة التراث، دت.